محـــــــــاضرات منهجية البحث 01

د/ عبيـــــدي سناء

المادة: منهجيـــــة 1

السداسي الأول: السنة الأولى جذع مشترك
الوحدة: منهجية
الرصيد: 01
المعامل:01
الهدف البيداغوجي: اكتساب مؤهل التحليل المنهجي السليم للمشكلات الاقتصادية.

المحاضـرة الخامسة

المحور الثاني : مدخل الى علم المنهجية

***التفرقة بين المنهج وبعض المفاهيم الأخرى**

من المشاكل والصعوبات التي تواجه العلوم تكمن في وجود بعض المفاهيم والمصطلحات المستخدمة فيها والتي لم يتم الاتفاق بعد حول تحديدها بشكل جامع شامل من قبل المتخصصين، وهذا الكلام ينطبق أيضا على منهجية البحث الذي نجد فيه الكثير من المفاهيم والمصطلحات المتداخلة والغامضة، بل غير المحددة بشكل دقيق، وتحديدا لذلك نفصل فيما يلي العلاقة بين المنهج وبعض المصطلحات المشابهة له:

1- المنهج والمنهاج: Méthode – Curriculum والحقيقة التي لا تقبل الشك أن اللغة العربية ثرية بألفاظها وغنية بمعانيها ومشتقاتها فإذا كنا في اللغة الأوروبية لا نعثر إلا على كلمة منهج Méthode المشتقة من الكلمة اليونانية فإننا نجد لغتنا العربية غنية باشتقاقاتها فتحت كلمة منهج نجد المنهج، والنهج والمنهاج، فكلمة المنهج تعني المسلك الذي يتخذه

الباحث ويختاره لمعالجة مشكلة البحث. وأما النهج فهو الطريق المستقيم الواضح المعالم. فيقال مثلا نهج " العربي بن مهيدي" ونهج " الأمير عبد القادر" ، فيعني الطريق، وبالنسبة للبحث العلمي تعني كلمة نهج الأمر الذي توضحت مساراته.

أما كلمة منهاج Curriculum فهو المقرر أو الخطة المرسومة لأي مشروع فيقال منهاج الدراسة ومنهاج العمل... وتعني الخطة التي ندرسها من أجل السير فيها للوصول إلى تحقيق الأهداف المخططة مسبقا وفق المنهاج المرسوم.

وقد وردت كلمة منهاج في القرآن الكريم في قوله تعالى : { **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** }. (المائدة 48)، وتعني كلمة منهاج الطريق الواضح لمعرفة دين الله.

2- المنهج والموضوع méthode -sujet: تجدر التفرقة بين المنهج والموضوع، فإذا كنا قد عرفنا المنهج الذي نقصد به المسلك الذي ينتهجه الشخص للوصول إلى حل المشكلة فإن الموضوع نعني به الوقائع والأحداث والمشكلات التي يتناولها البحث بصورة عامة.

ونجد بيرسون، يفرق بصورة دقيقة بين المنهج والموضوع في قوله: "تستند وحدة كل علم إلى المنهج لا إلى الموضوع فإن من يصنف الوقائع، ويصنف تتابعها وعلاقاتها إنما يطبق المنهج العلمي، ومن ثم فهو رجل علم فقد تتصل الواقعة بما في تاريخ الإنسان أو بالإحصائيات الاجتماعية، للمدن الكبرى أو أنها قد تتصل بفضاء الإجرام والنجوم.... فليست الوقائع في ذاتها هي التي تخلق وتصنع العلم ولكنه هو المنهج الذي بواسطته تعالج تلك الوقائع".

إذن فالمنهج ليس هو الموضوع الذي يعالجه ولا هو المشكلة ولكنه الطريق الذي يسلكه الباحث للوصول إلى حقائق علمية عن المشكلة المبحوثة.

فتحديد المنهج الذي يجب استخدامه في علم من العلوم يرتبط بالدرجة الأولى بتحديد موضوع هذا العلم أو ذاك، فالموضوع والمنهج مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا، يصعب معه تصور واحد دون الآخر.

3- المنهج وعلم المناهج méthode -méthodologie :إن مفهوم " ميتودولوجيا " أثار ولا يزال يثير الكثير من الجدال إلى درجة أنه لم يتم التوصل بعد إلى تحديد جامع وشامل لهذا المصطلح.

إن أصل هذا المصطلح Méthodologie هو اليونانية، شطره الأول Méthode يعني المنهج ، وشطره الثاني logie يعني العلم وهكذا تكون الميتودولوجيا هي "علم المناهج".

وعلم المناهج هو العلم الذي يبحث في مناهج البحث العلمي والطرق العلمية التي يكتشفها ويستخدمها الباحثون من أجل المقارنة الحقيقية، فهو نسبي خاص ومادي، ولكنه يخضع لقواعد المنطق الشكلي لأنها قواعد عامة لكل تفكير عقلي.

فما موضوع هذا الاختصاص؟

– **موضوع الميتودولوجيا:** يبحث الميتودولوجيا في تاريخ المناهج وطرائق البحث العلمي من حيث النشأة، بل من حيث الأسباب التي أدت إلى نشوء المناهج وطرائق البحث، كما يبحث في التقويمات المختلفة تاريخيا للمناهج وطرائق البحث المعروفة. بالإضافة إلى ذلك يبحث الميتودولوجيا في مبادئ اكتشاف مناهج بحث جديدة وتطويرها يمكن استخدامها وتطبيقها في مجالات جديدة أفرزها الواقع، كما يبحث في الشروط المتعلقة بإمكان استخدام هذه المناهج والطرائق في المجالات الجديدة بما يواكب تطور الواقع.

إن مجال بحث الميتودولوجيا لا يقتصر على هذا الدور فحسب بل يشمل أيضا التحقق الفعلي من كفاية المناهج والطرائق في الحصول على نتائج صادقة وصحيحة من الواقع، وتبحث الميتودولوجيا في تركيب المناهج والعناصر التي تتكون منها وتصنيفها، وفي العلاقات الجوهرية بين المناهج والطرائق المختلفة.

باختصار شديد تبحث الميتودولوجيا في الأسس الموضوعية للمناهج والطرائق، وفي العلاقات المختلفة بينها، وفي إمكانات استخدامها وحدود هذا الاستخدام.

– **مستويات الميتودولوجيا:** انطلاقا من مقولة العام والخاص والوحيد، نتعرض فيما يلي إلى توضيح ثلاث مستويات للميتودولوجيا:

1– الميتودولوجيا العامة: يشتمل هذا المستوى من مستويات التركيب للميتودولوجيا على مناهج المعرفة العامة ومبادئها في الطبيعة والمجتمع والفكر، ومقولات الميتودولوجيا العامة تناسب عملية المعرفة العلمية ككل، كمقولة الممارسة/ مثلا التي تمثل منطلق العمل المعرفي وواسطته وهدفه.

إن الميتودولوجيا العامة باختصار تشمل الأسس النظرية العامة، ومبادئ إيجاد المناهج في العلم واستخدامها، إنها العلم الفلسفي لكل نشاط معرفي علمي، وهي لا تقتصر على مناهج بحد ذاتها بل على المنهج العام الذي يصلح للاستخدام في الطبيعة والمجتمع والفكر.

2- الميتودولوجيا الخاصة: تشمل الميتودولوجيا الخاصة وطرائقها المستندة إلى المبادئ المعرفية التي تتضمنها الميتودولوجيا العامة، أي أنها تبحث في المبادئ والأسس الخاصة بالمناهج والطرائق التي يمكن استخدامها في مجال العلوم كالعلوم الاجتماعية مثلا.

3- الميتودولوجيا الوحيدة أو القطاعية: إنطلاقا من خصوصية موضوع دراسة كل علم من العلوم الخاصة تشمل الميتودولوجيا الخاصة أو القطاعية على مبادئ استخدام المنهج وطرائق البحث المناسبة لهذا العلم أو ذاك فبينما تهتم الميتودولوجيا العامة بمناهج المعرفة العلمية العامة والشاملة ومبادئها وتهتم الميتودولوجيا الخاصة بالقواعد والأسس الخاصة بمعرفة الظواهر عموما، وتتميز الميتودولوجيا الخاصة بالقواعد الوحيدة أو القطاعية بتبعيتها لموضوع دراسة اختصاص علمي محدد كالسوسيولوجيا وعلم النفس وعلم الاقتصاد مثلا.

وأخيرا ننتهي إلى أننا نقصد بالمنهج بصورته العامة هو وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة وأما المنهج العلمي الذي نعرفه بأنه خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها.

4- المنهج والطريقة والوسيلة: هناك من يعرف المنهج بأنه طريقة أو وسيلة، وهناك من يعد الطريقة منهجا أو وسيلة، مع العلم أن المنهج أهم من الطريقة (عند البعض طبعا) والطريقة أهم من الوسيلة والعلاقة بينهما كالعلاقة بين العام والخاص والوحيد.

فهناك من يعرف طريقة تحليل المضمون بأنها أسلوب من أساليب البحث، وهناك من يعرفها كتقنية من تقنيات البحث، وثالث يعرفها بأنها منهج تفسير نص ...إلخ.

ومن هذه الوسائل، ما تم الإتفاق عليه من طرف جميع الباحثين على أنه أداة ، ومنها:

- ✓ الملاحظة.
- ✓ المقابلة.
- ✓ الاستمارة.
- ✓ الوثائق والخرائط والرسوم.

ومنها ما هو محل خلاف من طرف الباحثين فبعضهم يصنفه في إطار المناهج، وآخرون يرتبونه على أساس أنه من الأدوات، ومن ذلك نذكر:

- ✓ تحليل المضمون أو المحتوى.
- ✓ أساليب قياس الاتجاهات والمقاييس السوسيومترية.
- ✓ الوسائل والأساليب الإحصائية.

وعليه نورد الفرق بين المنهج والطريقة ثم الفرق بينه وبين الوسيلة في:

4-1- المنهج والطريقة Méthode – Méthode : هناك من العلماء والدارسين للمنهجية من يفرق بينهما، وهناك طائفة أخرى تعتبرها شيئا واحدا وترجمة لنفس الكلمة اللاتينية Méthode.

فمنهم من يرى أن المفهومين لا يعنيان شيئا واحدا، وإن اشتركا في بعض الأمور من مثل كونهما يعنيان قواعد وإرشادات توجه الباحث نحو تحقيق هدفه من البحث، ونقطة الاختلاف الأساسية بين هذين المفهومين هي ارتباط المنهج بنظرية ما أو فلسفة ما تختلف عن غيرها من النظريات والفلسفيات فتؤدي إلى اختلاف في استخدام هذا المنهج أو ذاك. أما الطريقة فهي " حيادية" إلى حد كبير، ولا يختلف استخدامها باختلاف المناهج المستخدمة. فالمنهج يرتبط دائما برؤية فلسفية للظواهر التي تحيط بالإنسان.

وفي الأخير نورد قول صفوح الأخرس عن الفرق بين المنهج والطريقة، فيما يلي:"....ويهدف العلم إلى صياغة قوانين عامة وشاملة تحكم مسار العناصر والأشياء في الطبيعة والمجتمع، ولا يمكن الوصول إلى مثل هذه القوانين إلا باعتماد منهج علمي يستمد أسسه من فلسفة العلم، وكثيرا ما يختلط مفهوم المنهج في أذهان كثير من الباحثين مع مفهوم الطريقة العلمية، على الرغم من التباين بين المفهومين، فالمنهج العلمي هو أكثر اتساعا وشمولا من الطريقة وهذه الأخيرة أقل شمولا...".

والتطابق هنا بين المفهومين هو من ناحية واحدة فقط، حسب هذا الاتجاه، وهي أنهما جملة من المبادئ والقواعد والإرشادات التي تساعد الباحث على الوصول إلى هدفه العلمي المنشود في حين أن تعريف الطريقة ينتهي عند هذا الحد ويتجاوز تعريف المنهج ذلك ليشمل إضافة إلى ذلك الشروط التي يجب توفرها في المنهج كضرورة الوصول إلى القوانين، وهو الأمر الذي لا يتوفر في الطريقة.

كما أن هناك فريق من الباحثين من يجدون أن المنهج والطريقة كلاهما شيء واحد.

وعن نفسي فأنا أميل إلى رواد الاتجاه الأول الذي يفرق بينهما.

4-2- المنهج والوسيلة Méthode – moyens : بمدى أهمية تحديد الطريقة المنهجية التي يمكن أن تستخدم في البحث العلمي لا بد من تحديد أيضا الوسيلة أو التقنية أو الأداة التي من خلالها تتم عملية جمع البيانات والمعلومات المطلوبة من الواقع بشكل مباشر.

ووسائل جمع البيانات كثيرة ومتنوعة، وأهمها:

- ✓ الملاحظة: وتعد من أهم وسائل جمع البيانات عن الظواهر والعمليات الاجتماعية، بل عن السلوك الاجتماعي والعلاقات الإجتماعية وهناك الملاحظة العلمية والملاحظة غير العلمية، والملاحظة المقننة والملاحظة غير المقننة والملاحظة المباشرة، الملاحظة بالمشاركة، الملاحظة غير مباشرة.
- ✓ المقابلة: تستخدم كوسيلة من وسائل جمع البيانات، لكن الاستخدام الأكثر لها هو مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية والمقابلة هي محادثة هادفة، ومن أهم أنواعها المقابلة الموجهة، نصف موجهة وغير موجهة.
- ✓ الاستبيان: وتحتوي على مجموعة من الأسئلة التي تكون مفتوحة أو مغلقة أو متعددة الاختيارات. ويمكن أن تستخدم مباشرة من قبل الباحث أو فريق البحث عن مقابلة المبحوثين أو أن ترسل عبر البريد دون وجود الباحث.

وسنحاول التطرق إلى هذه الأدوات في محور لاحق من هذه المطبوعة.

5- خصـائص المنهج العلمي

يعتبر المنهج العلمي من أفضل الأدوات التي استخدمها الإنسان مند القدم لتوسيع مداركه، وزيادة معارفه، فهو الطريق السليم للوصول بالباحث إلى الحقيقة العلمية للظواهر التي يبحثها.

وقد وضع العلماء عدة خصائص للمنهج العلمي يمكن إيجازها فيما يلي:

5-1- الموضوعية: يبتعد المنهج العلمي عن الأفكار الذاتية والعاطفية والشخصية فهو لا يعتمد على الشائعات ولا على مصادر الثقة، ولا يتقبل الأفكار مهما كانت قيمتها، إلا إذا أثبتت التجربة صحتها، فالكثير من المسلمات التي كان يؤمن بها العلماء على أنها بديهية، أثبتت التجربة العلمية عدم صحتها، وهناك مسلمة لا يمكن إحداث تغيير عليها، أثبت العلم

أنها متغيرة أو أنها ليست بتلك الصورة التي سلم بها العامة من الناس، فالاعتقاد الذي كان سائدا على الأرض تدور حول الكواكب، أو أن الكرة الأرضية ثابتة، أثبت العلم عكسها.

5-2- تعدد المناهج: نظرا لأن العلوم متعددة الاختصاصات والفروع، لذلك تعددت طرق المنهج العلمي لتتطابق مع الفروع العلمية فنجد أن لعلم الآثار مناهج تختلف عن تلك المستعملة في علم الاجتماع، ونجد أن علم النفس الإكلينيكي أو الأرطوفوني مثلا قد طور مناهج ووسائل بحثية تختلف عن تلك المستعملة في التاريخ.

فالمنهج العلمي يمتاز بالمرونة والقابلية للتعدد بتنوع العلوم والظواهر، وقد يكون من المستحيل وضع مجموعة جامدة من القواعد المنطقية ليتبعها الباحثون في مجالات العلوم الطبيعية والآثار والرياضيات وعلم النفس والاجتماع والتربية والتاريخ، وهكذا نجد أن العلوم تختلف عن بعضها وبالتالي تتعدد المناهج.

5-3- القابلية للتغير: الحقيقة الثابتة الوحيدة هي التغير، لذلك فإن أهم صفات المنهج العلمي هي قابلية للتغيير، فالمناهج ليست أشياء ثابتة على الدوام، فكل جيل يضيف إليها تجاربه، وخبراته، وبالتالي يغير فيها حسب مقتضيات الحال وما يتطلبه الزمان، وحتى التطور الذي يشهده عصرنا الحالي كان ما يمكن أن يحدث لولا هذا التغير في أساليب وطرق البحث، والنظريات والقوانين العلمية بفضل جهود هؤلاء الذين حملوا لواء التغير والتطور.

ويؤكد عبد الرحمان بدوي على ذلك قائلا: " على الفيلسوف أو المنطقي أن يفهم أن المناهج ليست أشياء ثابتة بل هي تتغير وفقا لمقتضيات العلم، وأدواته، ويجب أن تكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع أن تنفي بمطالب العلم المتجددة، وإلا كانت عبثا، ومصدرا للضرر.... والمنهج بالتالي لا بد أن يعدل على الدوام والنتيجة لهذا فإن المناهج العلمية في تغير، وهذا التغير يستعين بتغير العلم وحاجاته".

5-4- اعتماده على خطوات علمية: يعتمد المنهج العلمي على خطوات لابد أن يسير عليها كل باحث تبدأ بالملاحظة وإقامة الفروض، والتجربة والنتيجة. وكل خطوة تتطلب إجراءات معينة، ووسائل وأساليب محددة. وهذه الخطوات تكاد تكون معلومة ومستقرة إلى حد ما من طرف جميع الباحثين.

5-5- الوصول إلى نتائج: ينبغي أن تكون حيثيات النتائج التي نصل إليها في الطريقة العلمية منطقية دائما وبمعنى آخر فالنتائج يجب أن تكون متماشية مع الدليل ومع الحقائق المعروفة. فالمنطق يمكن أن يعتبر لغة الإستنتاج العقلي...، كما تعتبر الرياضيات لغة القياس المتصل بالكم أو الحجم وعلى ذلك فاستخدام المنطق أساسي وضروري للبحث العلمي. ومعنى ذلك أن الأفكار الواردة ينبغي أن تكون متسلسلة ومترابطة وتخضع لمنطق موحد.